



خطاب صاحب الجلالة بمناسبة ذكرى تقديم عريضة الاستقلال

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

شعبي العزيز

نحتفل اليوم بذكرى حافلة بالمفاخر عامرة بالأعجاد ذكرى ستبقى من أجل معالم تاريخنا التي تنير الطريق وتربي الأجيال والتي يجب أن يسير على سنتها كل مواطن مخلص لبلده ومقدساته. لماذا نحتفل بهذه الذكرى؟ والحالة أن تاريخ المغرب منذ أن انقض عليه المستعمر مليء بذكريات معارك خلدت اسمه وأسماء الأبطال الذين خاضوا تلك المعارك؟ ذلك لأن ذكرى 11 يناير 1944 تكتسي صبغة خاصة تعرفها وأعرفها، ولكن سأحاول أن أعطيك نظري في تحليلها وتفسيرها.

إننا نقرأ في تاريخ المقاومة المغربية أن معركة جرت بالهري بناحية خنيفرة سنة 1914 وبعد ذلك نرى أن معركة أنوال بالريف وقعت في يوليو 1921. ونستغرب ونتعجب حيناً نقرأ كذلك أن المقاومة المغربية استمرت قائمة الذات إلى سنة 1933 حيناً وقعت بناحية تينغير معركة بوغافر.

هذه المعارك إن دلت على شيء فإنما تدل على أن المغرب من شماله إلى جنوبه لم يخضع أبداً أمام قوة المستعمر وسلطانه، فكانت مثل هذه المعارك تقض مضجع المستعمر وتهدد أمنه، ولكن معركة يناير 1944 أظهرت له أنها تهدد وجوده وكيانه، لأنها أولاً لم تكتس صبغة حرية، فلا يمكن أن يقول قائل إذ ذاك إن الغلبة ستبقى للقوي أو ستبقى للضعيف، ولكن خاضها المغرب بالسلاح الفكري، والأفكار والعواطف والمبادئ لا تكيف ولا تقيم إلا بضوابطها ومشروعيتها.

وهل هناك مشروعية أكبر من أن يطالب شعب بأكمله بالتمتع بالاستقلال والحرية في ظل نظام ملكية دستورية؟

أية قوة من القوات يمكنها أن ترد شعباً التقى هو وملكه وطلب من ملكه أن يعبر عن رغبته وصار الملك مقابلاً شعبه طواياً نصف المرحلة حتى وقع الالتقاء، وعندما وقع الالتقاء وقع التعبير بالكيفية المشروعة عن مطالب المغرب وعن مطامحه في أن يعيش في نظام مستقل كريم.

إننا شعبي العزيز، علينا أن نستخلص العبر من هذه الذكرى، ذلك أنها ذكرى عبرت ومازالت تعبر عن واقعية الملكية المغربية، تلك الملكية التي لم تفرض ولن تفرض نفسها بالضغط على شعبها، تلك الملكية التي لم تكن في يوم من الأيام في واد وشعبها في واد، تلك الملكية التي هي مرآة شعبها، وذلك الشعب الذي انعكس فيه ثبات وإيمان ملكيته.

فأذن يمكننا أن نقول إن 11 يناير 1944 كان ملتقى بين القوات الحية في هذه البلاد وبين ملكها، وليس بعسير شعبي العزيز أن لا تتكرر مثل هذه اللقاءات، وليس من المستحيل أن نطمح ونامل جميعاً في أن تلتف الكلمة ويجتمع الشمل، بل أرى من أوجب واجباتي أن أسير دائماً في طريق سوي، ألا وهو توحيد الكلمة وإرضاء الرغبات، وإعطاء الفرص لكل رجل ولكل امرأة أراد أن يعمل بحسن نية لصالح بلدها.



إن الأحداث التي عاشها المغرب في السنة المنصرمة، إن أظهرت شيئاً فإنها أظهرت أن الجسد المغربي والله الحمد طاهر في جميع أنحاء المغرب وفي جميع مستويات الشعب، سنرى أن في ذلك اليوم المشؤوم الذي نحمد الله عليه، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم — نرى أن وحدات جيشنا ووحداتنا المسلحة لم تتحرك ولم تقم بأي عمل يشين سمعتها ويضر بسمعتها بل بقيت صامدة، نرى أن شعبنا لزم الهدوء والاطمئنان، رأينا أن المنظمات النقابية والسياسية لزمت كذلك الرصانة والحكمة، واستنتجنا من هذا كله أن الأمة المغربية بجميع عناصرها مازالت أمة نقية طاهرة قابلة لكل ثقة وجديرة بكل معزوف.

لذا قررنا أن نجري مقابلات، ونحن نجري الآن مقابلات، وسنجري مقابلات في الأيام المقبلة مع جميع الذين يمتون إلى مصالح الأمة وتمثيلها بقرابة سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الفلاحية أو التجارية أو الصناعية أو الاجتماعية، حتى يمكننا أن نعرض عليك شعبي العزيز في الأسابيع المقبلة برنامجاً يروك ويعطي المدلول لخطابنا، خطاب رابع غشت الذي قلنا فيه إن ركب الدولة يسير ولكن قاطرة الدولة مستعدة لأن تحمل معها وفيها كل من أراد أن يعمل لصالحها وأن يعمل لصالح هذا الشعب الذي يستحق كل خير.

وها نحن نكرر إرادتنا لتجديد جميع القوات حولنا وحول برامجنا حتى يمكن أن نشب بشعبنا الوثبة التي نرضاها له في خضم المشاكل التي نعيشها في النصف الثاني من القرن العشرين.

وأمل أن يسفر هذا العمل لا على تجديد، لأن التجديد فيه نوع من الاكراه، ولكن على هبة، أريد أن يهب كل واحد منا نفسه وقلبه وحياته ونشاطه وأفكاره وطاقاته وكفاءاته لهذا البلد الأمين.

أريد أن يذيب كل واحد منا، وأن يذيب جميع المنظمات السياسية والنقابية والمؤسسات، أنانياتها وتذيب حساسياتها الخاصة في معترك المغرب، ألا وهو معترك التغلب على التخلف والجهل والجوع والفقر.

أريد شعبي العزيز أن لا يقال فينا وعنا في السنوات المقبلة إن لقاء 11 يناير 1944 كان صدفة من صدف التاريخ، ولكنني أريد أن يقال عن هذه الذكرى إنها ذكرى لها جلقات، وإن تلك الحلقات هي التي تكون السلسلة التي نرسي بها سفينة المغرب، السفينة التي تبقى وستبقى رغم ما يكيد الكائدون ورغم طمع الطامعين، راسية في ميناء الخير والبركة.

أمل أن نملأ قلوبنا جميعاً بذلك التسامح الفكري الذي ليس هو ضعف، ولكن هو قوة في الحقيقة.

أمل أن نذيب في معترك المغرب كما قلت لكم جميع النزوات والنزعات والخصومات.

أمل أن يوفقني الله في القيام بهذه المأمورية، ألا وهي أجمل مأمورية في مهامنا، لأنها ترمي إلى جمع الشمل وتوحيد الكلمة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

ألقي بالرباط

الثلاثاء 24 ذي القعدة 1391 — 11 يناير 1972